كلية اللغة العربية ورهان التنمية

د. مليكة ناعيم

تقديم:

تقوم الأمم على عنصرين رئيسين؛ المبادئ الأساس للأمة، ونظام التعليم الكفيل بتربية الأجيال على احترام تلك المبادئ الأساس ومراعاة قيم المواطنة. ولأن اللغة مبدأ ونظام في الوقت نفسه، بمعنى وسيلة وغاية١، فقد حظيت عبر العصور باهتمام المنظرين لمناهج التعليم والمحللين لقضايا العالم؛ تطوراتها وأسبابها، والمتخصصين في الاقتصاد والمعرفة. وإيمانا بأهمية اللغة الرسمية في التربية على المواطنة الصالحة والتوعية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية، فقد ركز النظام التعليمي للمغرب منذ فجر الاستقلال على تعريب التعليم وتربية الأجيال الناشئة على أهمية اللغة العربية من غير إقصاء لثقافة الآخر ولغته، وحث في الدساتر كلها وآخرها دستور ٢٠١١ على ضرورة العناية باللغة العربية؛ إذ يقرّ الفصل الخامس منه بمهمة حماية اللغة العربية وتطويرها وتنمية استعمالها، وهي موكولة . بالضرورة وفي جزء أساسي منها . إلى كلية اللغة العربية، جاء فيه:

"تظل العربية اللغة الرسمية للدولة، وتعمل الدولة على حمايتها وتطويرها، وتنمية استعمالها، تعدّ الأمازيغية أيضا لغة رسمية للدولة، باعتبارها رصيدا مشتركا لجميع المغاربة بدون استثناء"٢

ذلك ما أكّدته المادة الأولى القانون ٠١,٠٠ المتعلق بتنظيم التعليم العالي:

"يعمل على مواصلة تطوير التدريس باللغة العربية في مختلف ميادين التكوين، وتسخير الوسائل الكفيلة بالدراسة والبحث اللغوي والثقافي الأمازيغي وإتقان اللغات الأجنبية وذلك في إطار برمجة محددة لتحقيق هذه الأهداف"٣.

وهو ما أكده أيضا الميثاق الوطني للتربية والتكوين وخصص له الدعامة التاسعة٤.

وفي إطار العمل على احترام ما سبق تم إحداث كلية اللغة العربية بمراكش٥، وهي امتداد للتعليم الأصيل في جامع ابن يوسف بمراكش، وكلية تابعة لجامعة القرويين بفاس. واحتراما للأسس المنظمة للتأسيس ومواكبة لمقتضيات سوق الشغل وللانخراط في العالم وقضاياه الكبرى عرفت هذه الكلية الفريدة في المغرب تحولات عبر خطوات استراتيجية تستجيب لما ذكر. وتسعى هذه الورقة البحثية إلى بيان كيفية توفيق كلية اللغة العربية عبر مسارها التاريخي بين مدخلات تستجيب لأهداف التأسيس ومخرجات تستجيب لمتطلبات سوق الشغل والتحولات الاجتماعية والاقتصادية العالمية.

وما يكفل لنا الدراسة التاريخية الوصفية الدقيقة لهذه المعطيات هو الانتساب إلى كلية اللغة العربية منذ بداية التحاقي بالدراسات العليا بالجامعة منتصف التسعينيات من القرن الماضي إلى أن عينت بها أستاذة جامعية قبل ست سنوات. وتضم الورقة ثلاثة محاور يمثل كل محور محطة رئيسة في حياة كلية اللغة العربية، وهي:

١/ كلية اللغة العربية بين تثبيت القيم الوطنية وتخريج المدرسين من قلب القرويين.

٢/ كلية اللغة العربية في جامعة القاضي عياض بين الانفتاح الحضري والتحولات السوسيو اقتصادية

٣/ كلية اللغة العربية وبناء اقتصاد المعرفة

١ / كلية اللغة العربة بين تثبيت القيم الوطنية وتخريج المدرسين في قلب القرويين:

بعد الاستقلال (١٩٥٦) حرص المغرب عل تعريب قطاع التعليم والإدارة وتثبيت القيم الوطنية، وفي مقدمتها الدين واللغة، ولهذا الغرض أحدثت كلية اللغة العربية بمراكش٦، وهي فرع في جامعة القرويين بفاس، وخصصت بحسب المنصوص عليه في الظهير المؤسس لها في اللغة العربية والدراسات السامية٧، إيمانا من الواضعين للمشروع بأنه لا سبيل إلى دراسة اللغة العربية الدراسة

العلمية الدقيقة ولا يمكن فهم النص الديني الفهم الصحيح إلا بالانفتاح على اللغات التي تعايشت مع العربية فبادلتها التأثير والتأثر، فتمثل القرآن بلغته تلك العلاقات من خلال تضمنها لألفاظها المستعملة بين العرب، وهو الأمر الذي تؤكده الدراسات التي عنيت بعلاقة العربية باللغات السامية، ووجه الاهتمام وفق هذا المنصوص إلى دعامتين رئيستين:

١ / تأهيل القيم الوطنية

بتمكين اللغة العربية وتأهيل القطاع الديني عبر تمكين الطالب من الأدب المغربي، والعلوم الشرعية وأدواتها الأساس المتمثلة في:

- علوم الآلة من معجم ونحو وصرف وبلاغة.
- علوم التفسير من أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والرسم والوقف والقراءات القرآنية.
- علوم الحديث، من أنواع الحديث ومراتبه وعلم الجرح والتعديل وأصول الفقه.

وكان الهدف الأساس من دراسة علاقة اللغة بالنصوص الشرعية الفهم الصحيح للنص الديني عن طريق فقه اللغة المتضمنة ضمن برامجها لقضية المعرب والدخيل، بمعنى ما تضمنته العربية من ألفاظ لغات تفاعلت معها فبادلتها التأثير والتأثر، غير أن هذا الجانب ظل قاصرا عن بلوغ المبتغى نظرا لغياب المتخصصين في اللغات الشرقية والسامية، فظل الدرس حبيس إشارات يسيرة من التراث العربي بين مثبت معترف ومنكر راد. وأما اللغات الأجنبية فلم تكن الكلية تركز عليها ضمن مقرراتها، إذ كانت اللغة الثانية تكميلية مع حق الطالب في الاختيار بين الفرنسية والانجليزية. ولم يكن يع أهمية هذا الجانب إلا القلة القليلة من الطلاب ومن ثم لم تنتج الكلية كفاءات تهتم بالترجمة والنقل إلا بعد الألفية الثانية. بل إن الترجمة كانت من العناصر المستبعدة. وقد تم تدارك بعض النقص بإدراج اللغة العبرية ضمن البرامج الدراسية بعد الألفية الثانية ومادة فقه اللغات السامية التي يتلقى فيها الطالب مداخل رئيسة إلى المقارنات السامية مستثمرا ما اكتسبه في اللغة العبرية. غير أن الأمر لم يصل بعد إلى تحقيق المبتغى وإن أدرجت مادة الدخيل والمعرب في الماستر. والعائق هو غياب المتخصصين في اللغات الشرقية التي يحتاج إليها المشتغل على المادة من فارسية وتركية وآرامية...- وهي مسألة أكد ضرورتها المتخصصون في الدراسات السامية من مستشرقين نحو بروكلمان كارل في كتابه فقه اللغات السامية وبرجستراسر في كتابه التطور النحوي للغة العربية وموسكاتي في كتابه نحو اللغات السامية المقارن، أو العرب نحو حجازي محمود في كتابه علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء اللغات السامية وأحمد شحلان في كتابه مجمع البحرين وغيرهم- يضاف إلى ذلك أن كثيرا من الوافدين على الكلية من خريجي التعليم الأصيل، وكان عندهم نقص إن لم أقل إهمال تام للغات غير العربية.

٢ / ربط المخرجات بسوق الشغل

ذلك، بالحرص في التكوين على تأهيل الطالب للنجاح في مباريات الالتحاق بمراكز تكوين الأساتذة والمعلمين من الناحية المعرفية. وأما الجانب التربوي الديداكتيكي فيتلقاه الطالب بعد الالتحاق بالمركز الذي يكفل له سنتين من التكوين بالنسبة للمعلمين وسنة واحدة بالنسبة لأساتذة التعليم الإعدادي والثانوي، وتربط بين التكوين النظري والممارسة الفعلية داخل المؤسسات التعليمية تحت إشراف المركز وبمصاحبة المكونين. لهذا كانت الكلية تركز فقط على الجانب المعرفي ومواد التخصص التي تؤهل الطالب للالتحاق بالمركز، ولم تهتم بالجانب المهني. ومن ثم كان التركيز بجانب علوم الآلة والعلوم الشرعية على الأدب ومناهجه والأدب المغربي الذي استأثر بالتخصص في السلك الثالث لعقود، وهي مسألة تجد مسوغها في طبيعة المرحلة، بعد استقلال المغرب، التي تحرص على تربية الأجيال على المواطنة الصالحة عن طريق تذكيرهم عبر النصوص بالجهود المبذولة في سبيل استقلال البلاد وتاريخه.

ولم تكن الكلية تهمل التكوين الذاتي للطلاب وتنمية مهاراتهم في القراءة الهادفة والكتابة العلمية الأكاديمية باللغة العربية، إلا أنها كانت تسير في الاتجاه السابق نفسه من خلال مجموعة البحث في أدب الغرب الإسلامي ولغته والتي ظلت أنشطتها محصورة في قراءة في التراث.

لم يكن مصير طلب الكلية محصورا في التعليم بسلكيه، لكنها توفر الكفاءات البشرية أيضا للإدارة العمومية التي كانت بحاجة إلى متخصصين في اللغة العربية نظرا لإقدام المغرب على التعريب، هكذا يستقطب الخريجين من وزارة العدل عدولا ونساخا ومحررين ومن وزارة الداخلية

محررين أيضا. ولم تكن المسألة تحتاج من الطالب كفاءات عالية وإنما يكفيه تكوينه في العلوم الشرعية وخاصة مادة الشريعة وأصول الفقه إلى جانب مؤهلاته في الكتابة باللغة العربية الصحيحة وقدرته على تحرير المحاضر ونسخ الأحكام.

لم يكن طلاب كلية اللغة العربية في ذلك الوقت يعانون من البطالة لأن القطاعات المتاحة كانت كافية لتغطية حاجات الخريجين المهنية، بل كانت الدولة في تلك الفترة تستقطب الخريجين من الدول العربية في تخصصات مختلفة منها اللغة العربية، لاسيما الأساتذة الجامعيين. ومن ثم كانت الطريقة المعتمدة والمواد المدرسة على الرغم من الاقتصار على النهج التقليدي في أسلوب المحاضرة في معظم المواد والأهداف العامة المرتبطة بالوطنية والقومية٨، كافية لتبليغ المقصود وتحقيق الهدف. غير أنه مع تطور مناهج البحث العلمي وانفتاح المغرب على العالم الخارجي وحاجة الخريجين إلى كفاءات اخر تؤهلهم للتشغيل بدأت الحاجة ملحة إلى ضرورة التغيير. فهل استجابت كلية اللغة العربية لدواعي التغيير؟ وما مظاهره؟

٢ / كلية اللغة العربية في جامعة القاضي عياض بين الانفتاح الحضري والتحولات السوسيواقتصادية :

بناء على الظهير رقم ١,١٥,٧١، المؤرخ في ٠٧ رمضان ١٤٣٦ ٢٤ يونيو ٢٠١٥. تم فصل كلية اللغة العربية عن جامعة القرويين وإلحاقها بالجامعة الترابية القاضي عياض لاعتبارات عدة منها تخصيص القرويين للشأن الديني وإلحاقها بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وتقريب الإدارة من الكلية لتيسير العمل الإداري. ولم يكن هذا التغيير مجرد نقل للرئاسة من مدينة فاس إلى مراكش بل هو نقل استراتجي شامل لكلية اللغة العربية من القرويين ذات الطابع الأصيل، إلى ضرورة الاندماج الفعلي في جامعة القاضي عياض الرائدة مغربيا وإفريقيا، مع ضرورة مراعاة حضور شعبة اللغة العربية بفرعيها علوم اللغة والدراسات الأدبية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش التابعة للقاضي عياض. هذا كله يفرض على كلية اللغة العربية البحث عن رافد للتميز والفرادة مع الحفاظ على ركائزها الأساس: اللغة في علاقتها بالعلوم الشرعية، واللغة في علاقتها بالدراسات الأدبية واللغة العربية في علاقتها باللغات، فكانت الفترة مرحلة مخاض عسير لكن كانت الثمرة ضرورة توسيع مجال الاهتمام وتحيينه وفق ما تقتضيه ظروف المرحلة، مع الحرص الدائم على ربط المدخلات بالمخرجات.

هكذا انتقلت كلية اللغة العربية من شعبتين (اللغة العربية وفقهها، والأدب العربي وتاريخه) ذوتي مسار واحد: الدراسات العربية، إلى شعبتين ذوتي مسارات عدة، إذ أحدثت مسالك مع التغيير في منهاج العمل في الدراسات الأساسية الأصل دون المساس بالأصل في البداية التزاما بالملف البيداغوجي المؤطر. وانتقلت من أهداف وطنية وقومية إلى أهداف عالمية تراعي السياق الحضري ومقتضيات الاندماج من الإمكانات العلمية والمهارات العملية. ومن كلية تشتغل داخل دائرة مغلقة في علاقاتها إلى كلية منفتحة على المحيط الوطني والعربي والعالمي.

ولا يمكن لكلية اللغة العربية أن تبقى بمعزل عن أحداث العالم الأخيرة وما عرفه العقدين الأخيرين من ارتفاع في ضحايا الإرهاب والتطرف وظهور كثير من المنظمات الإرهابية التي تجند لها الأميين وتعبئهم بأفكارها الجهادية المتطرفة ومبادئها غير المشروعة. فكان المغرب من السباقين إلى التصدي لهذا كله بسلاح أكاديمي ممنهج يمثله تطوير نظام التعليم ومقومات البحث العلمي بالتركيز على ما يحقق الوساطة والاعتدال والانفتاح والتعايش السلمي والتسامح. وما يقتضيه نقل رؤية المغرب وتصوره للآخر عن طريق الاندماج في العالم عبر القنوات المتاحة ومنها وسائل التواصل الاجتماعي بشكل هادف ومنتج، ومن ثم أعادت الكلية النظر في ما يتعلق باللغات والمهارات ومناهج تدريس العلوم الشرعية.

ولم يكن للكلية بد من استحضار إقدام العالم بمكوناته المختلفة وأجناسه المتعددة على تعلم اللغة العربية بشكل متزايد مع اختلاف في الغايات التي تقتضي التباين في مجال التدريس، وأهمية تسويق المعرفة المحلية والاقتصاد عن طريق اللغة الأم، ومن ثم فقد استحضرت كلية اللغة العربية ضمن مشاريعها تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

ولم تكن أيضا لتغيب كثرة الخريجين، وما أقدم عليه المغرب بعد الميثاق الوطني للتعليم من تغيير تدريجي للوظيفة العمومية باعتماد نظام التوظيف بالتعاقد في التعليم، وما يعنيه من تقليص مدة التكوين بالمراكز من سنتين مخصصة

للتكوين إلى التحاق مباشر بالفصل الدراسي مع تخصيص أيام من العطل الدراسية للتكوين، وهي مدة غير كافية لو بقي التعليم كله معرفيا نظريا ولم ينفتح على الجانب البيداغوجي التربوي الذي صار محورا رئيسا ضمن مباريات الالتحاق بالتعليم. هكذا صار لازما على الكلية الجمع بين التكوين المعرفي النظري والتوجيه التربوي الديداكتيكي. مع استحضار عدم قدرة القطاع على استيعاب الأعداد المتزايدة من الخريجين وضرورة خلق فرص أخر للطالب بتنويع التكوين ورفع مستواه وتغيير مناهجه.

لذلك كله تمت إعادة النظر في البنية التربوية للكلية بـ:

- إعادة النظر في المسلك الأساسي: الدراسات العربية بإدراج مواد جديدة وتغيير نظم ومناهج المواد لتشتغل في شكل متفاعل ومتكامل بتنسيق بين المؤطرين تحت إشراف الشعبة وفي موضوعات ترتبط بخصوصيات اللغة العربية بحضور اللغة العربية بشكل أساس في علاقتها بالمكونات الأخر، ونقل اللغات الأجنبية من مواد تكميلية اختيارية إلى مواد أساسية إجبارية في المستويات والأسلاك كلها، والانفتاح على الثقافات واللغات الشرقية، مع التركيز على التكامل المعرفي بين المواد وتوجيه الاهتمام إلى تحيين قراءة التراث وفق أحدث المناهج والتصورات. مما يعني ربط الأصالة بالحداثة.
- إحداث مسلك اللغة العربية واللغات الحية.
- إحداث مسلك الإجازة المهنية ديداكتيك اللغة العربية.
- إحداث ماستر النص والعلوم الشرعية.
- ماستر البلاغة وتحليل الخطاب
- تنظيم دورات تكوينية إعدادية لمعهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- توسيع مجال التكوين الذاتي للطلاب بالانفتاح على المهارات.
- إحداث بنيات بحث تحتضن الطلب الباحثين كل بحسب تخصصه.

ولتدبير المرحلة وتحقيق الأهداف المسطرة ولربط المدخلات بالمخرجات، من خلال ضمان التكوين النموذجي للطالب في كل مسلك من المسالك السابقة، ولإيمان كلية اللغة العربية بأهمية الانفتاح على المحيط والمؤسسات ذات الاهتمام المشترك بحسب ما تقتضيه البرامج والمسالك، فقد نهجت سياسة الانفتاح والعمل المشترك عن طريق توقيع مجموعة من الاتفاقيات العملية التي أثمرت نتائج منذ أول تجربة عملية بها، وساعد في ذلك إحداث بنيات بحث بالكلية ومنها مختبر مناهج البحث في اللغة العربية واللغات الذي حرص على الانفتاح وعلى التغيير والاستجابة لمتطلبات الرقي بالبحث العلمي وتيسير سبل الباحثين وتنمية مهارات الطلاب وإمكاناتهم العلمية والمنهجية.

١ / بالنسبة للإجازة المهنية ديداكتيك اللغة العربية:

لإنجاح هذا المسلك باعتبار خاصته المهنية؛ إذ يهدف أساسا إلى تأهيل الخريجين لولوج قطاع التعليم في سلكيه الإعدادي والثانوي، بفرعيه الخاص والعام، الأمر الذي يقتضي مكونين في الجانب التربوي ومؤسسات للتدريب الميداني. لهذا تم:

الانفتاح على المحيط بقطاعيه العام والخاص بـ:

توقيع اتفاقية شراكة وتعاون مع المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين باعتباره المؤسسة الأصل المكلفة بتأهيل الأساتذة والمعلمين، في الجانب البيداغوجي والديداكتيكي. وقد استفادت الكلية من خبرات أساتذة المركز وتوجيهاتهم سواء خلال فترة الإعداد لفتح المسلك أو بتأطير الطلبة في مواد الديداكتيك وعلوم التربية بجانب أساتذة من الكلية يدرسون مواد التخصص من الجانب المعرفي النظري، لتحقيق التكامل بين هذين العنصرين المتلازمين في تأهيل الأساتذة والمعلمين.

ولأن التدريب العملي الحقيقي يقتضي فصلا دراسيا حقيقيا يمكن الطالب من تمثل الوضعيات المشكلة والبحث لها بتأطير من الخبراء عن الحلول العملية التي تيسر عمله في المستقبل، فقد تم الانفتاح في التجربة الأولى على مؤسسة البشير للتعليم الخصوصي عن طريق اتفاقية شراكة وتعاون، إيمانا بضرورة إسهام القطاع الخاص في تأهيل خريجي الجامعات لاستقطاب الكفاءات التي تلبي حاجياته، مما كفل للطلاب تكوينا عمليا لمدة لا تقل عن شهرين بفضاء المؤسسة وإنجاز بحوث تدخلية ميدانية تختصر تجربتهم في التكوين وتهيئهم لتحمل المسؤولية في القريب.

التقييم الذاتي والتطوير:

لتضافر جهود الجهات المتدخلة كلها أثمرت تجربة السنة الأولى عن نجاح

أزيد من ٧٥ في المائة من طلاب هذا المسلك في أول مباراة للتعليم بالتقاعد بعد تخرجهم بأيام قليلة، لكن سجلنا مجموعة من الملحوظات في اجتماع التقييم تتعلق بالخصوص بالتدريب، إذ اقتصر على مؤسسة التعليم الخصوصي فاقترحنا للسنوات القادمة توسيع التجربة لتشمل القطاع العمومي باعتباره الأساس الذي يوجه إليه الطالب وتنميط مشاريع البحث التدخلي داخل مشروع عام يسفر عن نتائج عملية تتضمن المعوقات التي تواجه الطلاب لتكون محور ندوات يستدعى لها المتخصصون. ونسعى إلى أن تصل نسبة النجاح هذه السنة الى مائة في المائة. وقد تم استدعاء خبراء في البرمجة اللغوية العصبية والتنمية الذاتية لتأطير الطلبة في دورات تكوينية تنمي مهاراتهم وقدراتهم.

الانفتاح على اللغات العالمية

بالنسبة لمسلك اللغة العربية واللغات الحية، وهو نتاج طبيعي لمختبر مناهج البحث في اللغة العربية واللغات من تنسيق وإعداد الدكتورة سناء السميح أستاذة اللغة الفرنسية بالكلية، فإن القيمة المضافة الأساس التي يضيفها للطالب في علاقة المخرجات بسوق الشغل هو الانفتاح على قطاعات حيوية وطنيا ودوليا، وخاصة الترجمة والإعلام، ذلك أن الطالب يتلقى تكوينا منسجما في لغات أساسية هي العربية والفرنسية والانجليزية مع انفتاح على الألمانية والاسبانية. الأمر الذي اقتضى من المختبر حامل المشروع الانفتاح على المؤسسات المتخصصة في الترجمة، ومنها: المعهد العالي للترجمة بطنجة والمعهد الابستمولوجي الأوربي ببروكسيل وشعبة اللغات والترجمة بالمدرسة العليا للأساتذة بمراكش، وقد أثمرت المباحثات بين الجانبين مشاريع اتفاقيات وشركات وأنشطة عملية في إطار الترجمة منها دورات تكوينية بتأطير من المتخصصين.

تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

من القطاعات التي تحتاج بالضرورة إلى طالب كلية اللغة العربية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وقد تلقت الكلية رسائل كثيرة من الجامعات الأوربية التي تود بعث طلابها للتكوين بالضبط في كلية اللغة العربية باعتبار الصفة والتخصص وأهمية الشهادة المحصل عليها باسمها. وهو مشروع بدأت الكلية تخطط له منذ ما يزيد عن عقد من الزمن. وسعيا منها نحو إعداد المؤطرين الأكفاء وبناء نموذج خاص، فقد استدعت مؤسسات مختلفة في إطار دورات تكوينية لفائدة الراغبين في الانخراط المشروع. من ثم استدعت مؤسسة العربية للجميع السعودية في دورة تكوينية استفاد منها ثلاثون مؤطرا فيه أساتذة وطلاب الدكتوراه، اجتازوا كلهم امتحان التخرج بنجاح. كما استدعت بناء على اتفاقية شراكة بين المؤسستين جامعة دالرنا السويدية لتأطير دورة تكوينية أخرى في السياق نفسه، وبعد تقييم التجربتين معا، بدأ محور إعداد النموذج الخاص بالكلية سعيا نحو انطلاق المشروع.

ومما سيعجل بإخراج مشروع كلية اللغة العربية إلى الوجود بعد فترة تأمل وإعداد طويلة الأمد، إحداث جامعة القاضي عياض لمعهد اللغات التطبيقية في قلب الكلية، الذي يسعى إلى تأهيل كفاءات الطلاب في اللغات وفق ما يقتضيه سوق الشغل، وإذا كنا نهتم بتعلم لغات الاخر باعتبارها ضرورة ملحة يقتضيها الاندماج في العالم، فإن تعليم العربية للآخر أيضا ضرورة حضرية ملحة ليندمج الآخر في ثقافتنا وحضارتنا ويفهم هويتنا وخصوصياتنا الدينية بمعناها الدقيق والصحيح.

صقل مهارات الطلاب عبر أنشطة موازية.

لأهمية الاندماج الحضري والثقافي والاجتماعي، ولتوسيع دائرة علاقة المخرجات بسوق الشغل، وحتى لا يبقى طالب كلية اللغة العربية حبيس الوظيفية العمومية من التعليم والإدارة، ولإخراج طاقات الطلاب الإبداعية المكبوثة في الأنظمة السابقة إلى الوجود، تم فتح أوراش عملية موازية للتكوين الأكاديمي تتيح للطالب الانفتاح على قطاعات حرة تؤهله لاستثمار طاقاته ومواهبه، ومنها المسرح والصحافة والتصوير والرياضة والرسم وغيرها. وقد أظهرت هذه المحترفات أهمية النشاط الإبداعي في تيسير العملية التعليمية التعلمية؛ إذ تتيح للطالب فرص لتنشيط الذاكرة والإعداد الذهني للانخراط في العمل الأكاديمي، ذلك أن الاقتصار على الجانب الأكاديمي الملتزم يخنق العمل ويكبث روح الإبداع ولعل هذا هو سبب الهذر وفشل التجربة العربية في قطاع التعليم. يضاف إلى ذلك ما أشرت إليه سلفا من تأسيس بنيات بحث بالكلية تحتضن الباحثين وتتيح لهم فرصة الاستفادة من خبرات الأساتذة عبر المشاركة الفعلية والحضور الفاعل في

أنشطة البنية.

لقاءات توجيهية مع المقبلين على الجامعة

لا يمكن لما سبق كله أن يصل إلى الهدف المنشود ما لم يتم تحسيس الوافدين بخصوصيات كلية اللغة العربية وخصائصها، ذلك عبر عقد لقاءات تحسيسية مع الطلاب المقبلين على الجامعة في جهات المملكة كلها، ذلك لمساعدتهم في اختيار التوجه المناسب لطموحاتهم وإمكاناتهم، وتتضمن اللجنة ممثلين عن كل مكونات الكلية: الطلاب، والإدارة، والأساتيذ.

هذا كله أتاح لكلية اللغة العربية أن تحقق نسبة عالية من التوازن بين المدخلات والمخرجات وسوق الشغل، إذ تحتل المرتبة الأولى وطنيا على مستوى مباريات الالتحاق بالمركز الجهوي لمهن التربية والتعليم في التخصص والمدرسة العليا للأساتذة. لكن كلية اللغة العربية أدركت ضرورة الإسهام في بناء الاقتصاد. فكيف ستدبر الأمر؟

كلية اللغة العربية وتدبير اقتصاد المعرفة

يقول محمود السيد: إن أهمية اللغة اقتصادياً تكمن في دَورين أولهما: "عندما يُنظر إليها على أنها أداة في الاقتصاد وفي عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدول والأمم، إذ يعدّ استعمال اللغة بمردود جيد وكفاية عالية أساساً لتحقيق النمو الاقتصادي وضرورياً في عملية التنمية". وثاني دور لها: "عندما يُنظر إليها على أنها صناعة وسلعة في القطاع الاقتصادي، إذ تزايد دور الصناعات الثقافيّة وقاعدتها اللغة الوطنيّة في الاقتصاد العالمي مؤخراً تزايداً كبيراً جدا"٩. وهما دوران لم تهملهما كلية اللغة العربية بمراكش.

لقد أدركت كلية اللغة العربية أن كونها الوحيدة بهذا الوصف في بلدنا المغرب يزيد من ثقل مهامها ومسؤولياتها، إذ تحمل على عاتقها مشروع خدمة اللغة العربية. لذلك فلم تنته المشاريع عند حدود الرقي بالبرامج التربوية والرقي في ظل القاضي عياض إلى مصاف الكليات الاخر من خلال تأهيل الطلاب في جانب اللغات والمهارات، ولا بالتأسيس لمركز تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، لكن تتبنى كلية اللغة العربية مشروعا مستقبليا يقوم على الانفتاح على جميع الشعب والتخصصات من جهة ما تقتضيها منها لغتها من السهر عليها. فأسست بذلك مشروعا بكرا في عرض خدماتها على التخصصات بحسب الحاجة، إيمانا منها بأن اللغة أساس التنمية الاقتصادية، وتأهيل اللغة ينطلق من تهييء المحيط.

كلية اللغة العربية وشعبة القانون:

فاللغة العربية مادة القاضي في صياغة محاضره وكتابة أحكامه كتابة صحيحة، ومادة المحامي في المرافعة، مما يعني أن رجل القانون بشكل عام يحتاج إلى ضبط اللغة الأم، لكن يلحظ أن خريجي كلية العلوم الاقتصادية والقانونية مميزون في ما يتعلق بمواد التخصص، لكن يعانون من غياب كلي لمواد تخص علوم اللغة العربية مما يؤثر في مؤهلاتهم العملية، وهو أمر ملحوظ في لغة بحوثهم وفي مداخلاتهم في الندوات والمؤتمرات حيث تطرد الأخطاء اللغوية بشكل يغير المعنى. بل إن وزارة العدل تعتمد اللغة الفرنسية في كثير من وثائقها الرسمية منها ما يتعلق بالحاكم التجارية ووصل استخلاص الرسوم والودائع، مما يعرقل التواصل بين المتقاضي والمؤسسة. وهذه مسألة تقتضي التعجيل بإتمام التعريب ورفع مستوى خريجي كليات القانون في اللغة العربية، فرفع المفعول ونصب الفاعل قد يجعل الجاني ضحية والضحية مجرما، وقد ينفذ الحكم بناء على ذلك الخطأ وتصحيحه قد يحتاج إلى سنوات من المراجعات والنقض والجلسات وغيرها مما تضيع معه حقوق الناس. لذلك فكلية اللغة العربية تعتزم أن ترفع للوزارة الوصية مشروعا ضمن عناصره إسهام كلية اللغة العربية برامجها بشكل رسمي في تدريس علوم اللغة العربية بشكل ييسر للقاضي والمحامي ومدرس العلوم القانونية وغيرهم التمكن من اللغة العربية الفصحى كتابة ومشافهة.

كلية اللغة وشعبة الاقتصاد

وتعتزم كلية اللغة العربية الانفتاح على كلية العلوم الاقتصادية ذات التوجه الفرنسي في الغالب إن لم نقل الكلي، فالطالب في الاقتصاد تغلب عليه اللغة الفرنسية إلى درجة يصعب عليه التواصل بالعامية أما الفصحى فأمر عنده غير حاضر. وكلية اللغة إذ تعتزم الدخول إلى هذه المؤسسات تحمل رسالة سامية مفادها أن نجاح الاقتصاد متوقف على المعرفة، ويقتضي لغة مشتركة بين الطرفين البائع والمشتري في أي تجارة صغرى أو كبرى، ومن ثم فالرقي بالاقتصاد المغربي عن طريق التفاعل الإيجابي يقتضي بالضرورة

أن يعي الاقتصاد بمكوناته من وزارة المالية والمؤسسات التابعة لها والشركات والمراكز كلها أهمية اللغة الوطنية المشتركة في النهوض بهذا الجانب. وهذا يقتضي بالضرورة تدريس اللغة العربية لطلاب الاقتصاد وتحسيسهم بأهمية اللغة الأم في نجاح اقتصاد البلاد١٠. ولا يعني دخول اللغة تعريب كل المواد أو إقصاء لغة الاخر فرجال الاقتصاد يحتاجون بالضرورة إلى اللغات والثقافات لكن شريطة أن تكون بينها اللغة الوطنية الرسمية ليس كمادة للتواصل لكن أيضا مهارات تدرس وعنصر اقتصادي منتج.

إن تنمية اقتصاد المملكة عبر بوابة المتخصصين في هذا المجال يقتضي الوعي بأهمية السياسة الوطنية اللغوية والالتفات إلى معالم المعالجة الاقتصادية المرتبطة بالسياسة اللغوية، وماهية المحاور التي تحمل معها آثارًا جوهرية على قدرة المتعلم على صناعة القرار في ضوء التعامل مع الخطاب الغوي، والقدرة على تعميق قدرته على الاتصال مع الغير، وتعميق نجاحه في ظل سيادة آثار التعدد اللغوي، وكثافة استخدام اللغة الثانوية أو الشبيهة بالأم في كثير من النشاطات التي تسود مجتمعات هذه الدول تعاملاتها الاقتصادية مع المجتمع الرقمي.

كلية اللغة العربية وكلية الطب

وكلية اللغة العربية حاضرة بالضرورة في كلية الطب، والطبيب حاضر بالضرورة في قلب كلية اللغة العربية. فالطبيب الذي يتخصص في مشكلات النطق والحبال الصوتية يحتاج إلى مخارج الحروف العربية وصفاتها والى بناء الجملة العربية بشكل دقيق إذ تعرض عليه حالات مرضية مختلفة من ثم فله مرجع رئيس في تكوينه بكلية اللغة العربية. وكلية اللغة العربية بحاجة بالضرورة إلى كلية الطب ذلك أن كثيرا من القضايا اللغوية متوقفة على التشريح والتحليل الطبي منها ما ندرس الطلاب في ديداكتيك اللغة العربية من الصعوبات القرائية لدى التلاميذ خاصة مشكل التلعثم او صعوبات النطق أو قلب الحروف أو غيرها، ومنها ما يتعلق بمخارج الحروف والصفات. وهنا يتأكد ضرورة حضور كلية اللغة العربية في كلية الطب من خلال تدريس طلاب الطب مواد اللغة العربية ولم لا التفكير مستقبلا في تدريس الطب باللغة العربية من غير إقصاء للغات الأخر لاسيما الانجليزية بل "ينبغي تَطوير وسائل تدريس اللغات، وربْط مَنهج اللغة الإنجليزية بالكليات العلميَّة بالمَناهج العالَميَّة لتَدريس اللغة، كـ"التوفل" مَثَلاً، فيَتخرَّج طالب الطبِّ أو العُلوم حامِلاً شهادةً دوليَّةً تُمكِّنه من إكمال دراسته في أيِّ مكان دون عَناء أو جهد إضافي"١١، وضرورة حضور متخصصين في الطب بكلية اللغة العربية.

كلية اللغة العربية والإعلام:

ما يلحظ على لغات الإعلام من تدن يؤثر في مستوى الفصاحة بالمغرب نظرا للأثر الكبير للغة الصحافة إيجابا أو سلبا في المتلقي نظرا لسرعة انتشارها وسهولة الوصول إلى موادها، ولأهميتها في تسويق المعرفة وتعليم اللغة، يؤكد ضرورة إسهام اللغة العربية في تكوين الإعلاميين لذلك تعتزم الكلية فتح إجازة مهنية في الإعلام، لكن المؤطرين بكلية اللغة العربية يحتاجون قبل ذلك إلى تكوين في الإعلام والصحافة، وهنا يبدو حضور كلية اللغة العربية في معاهد الصحافة والإعلام وحضور مؤسسات الإعلام في كلية اللغة العربية.

نتائج

نخلص مما سلف إلى أن النهوض باقتصاد البلاد وإعلامه وخريجيه يتوقف على تأهيل اللغة الرسمية للدولة لتكون هي لغة العلوم ولغة الاقتصاد ومرجع الصحافة والإعلام. وتبقى كلية اللغة العربية هي القادرة والكفيلة بالنهوض باللغة العربية في هذه القطاعات وتزويدها بالكفاءات المتخصصة وبالتوجيهات والتكوينات. إن كونها الوحيدة في المغرب بهذا الوصف يجعل مسؤولياتها كبيرة لكنها بسياسة الإصلاح المتبعة وقابليتها للتطوير والتغيير وفق كل مرحلة يجعلها قادرة على تسطير الأهداف والعمل على تحقيقها. وعلى الجهات المسؤولة أن تعي هذا الدور، فتمكن كلية اللغة من الإمكانات التي تضمن لها تحقيق الأهداف التي تسعى إليها وطنيا وعربيا ودوليا.

إن كلية اللغة العربية ليست كما شاع عنها لغة تقليدية متفرغة متوقفة على تدريس أصول النحو وتكوين الأئمة والفقهاء فحسب، وليس مهمتها الإعراب وحفظ الألفية والأجرومية على الرغم من أهميتهما فقط، وإنما هي كلية دينامية تجعل اللغة العربية مركزا للتغيير سواء في الانفتاح على الاخر أو في تنمية الاقتصاد أو تأهيل القطاعات التي تتخذ من اللغة وسيلة لمهامها أو مواكبة التغيرات السريعة التي يعرفها العالم. إن كلية اللغة العربية

هي بوصلة ينبغى أن تبقى لأن تحريك عجلة البحث العلمي بحاجة إليها.

توصيات:

بعد النتائج التي انتهت إليها هذه الدراسة، توصي بـ

- ربط علاقات التعاون بين كليات اللغة العربية في جميع الدول العربية لتبادل الخبرات وتقاسم الأهداف وسبل تحقيقها ذلك أن رسالتها موحدة على الرغم من خصوصيات كل بلد.
- التنسيق بين كليات اللغة العربية في الدول العربية وتوقيع اتفاقيات شراكة تتيح تبادل الأساتذة والطلاب لتوسيع سبل التكوين والرقي به.
- عقد مؤتمرات مشتركة وإحداث مجلات خاصة لكليات اللغة العربية تعرف بنتاجها ومكوناتها وأنشطتها.
- رفع رسالة رسمية إلى المسؤولين لحثهم على رعاية كليات اللغة العربية وحمايتها مما يهددها من مواقف وهمية شائعة تؤثر في نفسيات المقبلين عليها.
- خلق فضاء إعلامي مشترك ييسر التواصل بين كليات اللغة العربية.

الهوامش والإحالات:

١. وهي مسألة تمثلها تعريف ابن جني للغة القول: " أما حدها: فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، هذا حدها". الخصائص، ٣٣/١.

٢. دستور المملكة المغربية ٢٠١١، مع نص الخطاب السامي الذي وجهه جلالة الملك محمد السادس، نصره الله إلى الأمة مساء الجمعة ١٧ يونيو ٢٠١١، وقرار للمجلس الدستوري رقم٨١٥, ٢٠١١ المعلن عن نتائج الاستفتاء في شأن مشروع الدستور، إصدارات مركز الدراسات وأبحاث السياسة الجنائية بمديرية الشؤون الجنائية والعفو سلسلة نصوص قانونية – شتنبر ٢٠١١ ، العدد ١٩، ص.١٦.

٣. قانون ٠١,٠٠ يتعلق بتنظيم التعليم العالي، الجريدة الرسمية، عدد ٤٧٩٨، ٢٥ ماي ٢٠٠٠، ٢١ صفر ١٤٢١، ص.١١٩٤.

٤. الميثاق الوطني للتربية الميثاق الوطنية للتربية والتكوين، اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين، المملكة المغربية، ١٩٩٩، الدعامة التاسعة.

٥. الفصل الثالث من الظهير رقم: ١,٦٢,٢٤٩ بتاريخ ١٢ رمضان ١٣٨٢ (٦ فبراير ١٩٦٣) المتعلّق بإعادة تنظيم جامعة القرويين.: " تشتمل جامعة القرويين على ما يأتي :

١- كلية الشريعة الإسلامية بفاس؛

٢- كلية اللغة العربية بمراكش ؛

٣- كلية أصول الدين بتطوان ؛"

٦. الفصل الثالث من الظهير رقم: ١,٦٢,٢٤٩ بتاريخ ١٢ رمضان ١٣٨٢ (٦ فبراير ١٩٦٣) المتعلّق بإعادة تنظيم جامعة القرويين.: " تشتمل جامعة القرويين على ما يأتي :

١- كلية الشريعة الإسلامية بفاس؛

٢- كلية اللغة العربية بمراكش ؛

٣- كلية أصول الدين بتطوان ؛".

٧. ينبغي أن ننبّه إلى أن كلية اللغة العربية، مؤسسة فريدة على الصعيد الوطني، بناء على ما أوكله لها القانون: "تختصّ كلية اللغة العربية بكل ما يتعلق بالتعليم العالي والبحث في ميدان فقه اللغة وأصول اللغة العربية واللغات السامية". الفصل السابع من الظهير الشريف بمثابة قانون، رقم ١,٧٥,٢٩٨ بتاريخ ١٠ شوال ١٣٩٥ (١٦ أكتوبر ١٩٧٥)، المتعلق بإحداث الجامعات.

٨. وهي أهداف مشتركة بين جميع كليات اللغة العربية والمؤسسات التابع لها في العالم العربي، يقول عامر فخر الدين: "إن الأهداف العامة هي التي تهدف إلى التربية القومية والوطنية تحقيقا لمقاصد اجتماعية وسياسية وتربوية، وهي مجملها تعني بتكوين المواطن الصالح المتآلف مع قومه ومجتمعه، المتمسكة بقيم عقيدته الإسلامية السمحاء. وهذه الأهداف عامة مشتركة بين اللغة العربية وغيرها من المواد الأخرى". طرق التدريس الخاصة باللغة العربية في التربية الإسلامية، (جامعة الفانج، دار الكتب الوطنية. ١٩٩٦، ص. ١٩

٩. غالب عبدالعزيز الزامل: اللغة العربية والتعليم العالي.

http://www.alukah.net/culture/٨٦٢٨/٠/#ixzz٥٣tXuMLRV; ١٢,٣٠ .٢٠١٨/١ /١٤

١٠. يقول محمود السيد: "إن العجز عن تصدير اللغة القومية يجرّ حتماً إلى استيراد لغة الآخر، إذا توافرت للغة جملة من الشروط المحددة والعوامل المساعدة وكانت تتميز بالقابلية الذاتية للتسويق، فيمكن أن تكون مجال استثمار مؤكد وسلعة للتداول مضمونة الربح والكسب، ما يدعم قيمتها باعتبارها من أسس الهوية القومية. ولكي تقوم العربية بوظيفتها بنجاح لابد من تطوير اللسانيات الحاسوبية العربية ومنجزاتها لتيسير نشر المعرفة التقنية في مجال اجتماعي متسع ولضمان النجاح في هذه الخطوة لابد من دعم التواصل والتعاون مع مستعملي اللغات الأجنبية التي ترسم بالخط العربي مثل الفارسية، وكذلك فتح باب التواصل مع المجتمعات التي تسهّل العربية من غير العرب لانتمائها للدين الإسلامي ضماناً لسعة السوق ودعماً لعملية الترويج والمبادلة. ولتسهيل تعلم اللغة العربية في المجالين العلمي والتقني كان لابد من إحداث مواقع تعليم إلكترونية على الشابكة لأن من شأن ذلك أن ييسر نشر اللغة ويضمن حسن تلقيها".

http://alwatan.sy/archives/٤٩١٤

١١. غالب عبدالعزيز الزامل: اللغة العربية والتعليم العالي.

http://www.alukah.net/culture/٨٦٢٨/٠/#ixzz٥٣tXuMLRV; ١٢,٣٠ .٢٠١٨/١ /١٤.

المصادر والمراجع:

١/ ابن جني: الخصائص، تحقيق

٢/ دستور المملكة المغربية ٢٠١١، مع نص الخطاب السامي الذي وجهه جلالة الملك محمد السادس، نصره الله إلى الأمة مساء الجمعة ١٧ يونيو ٢٠١١، وقرار للمجلس الدستوري رقم٢٠١١,٨١٥ المعلن عن نتائج الاستفتاء في شأن مشروع الدستور، إصدارات مركز الدراسات وأبحاث السياسة الجنائية بمديرية الشؤون الجنائية والعفو سلسلة نصوص قانونية – شتنبر ٢٠١١ ، العدد ١٩، ص.١٦.

٣ / الظهير رقم: ١,٦٢,٢٤٩ بتاريخ ١٢ رمضان ١٣٨٢ (٦ فبراير ١٩٦٣) المتعلّق بإعادة تنظيم جامعة القرويين، الفصل الثالث.

٤/ الظهير الشريف بمثابة قانون، رقم ١,٧٥,٣٩٨ بتاريخ ١٠ شوال ١٣٩٥ (١٦ أكتوبر ١٩٧٥)، المتعلق بإحداث الجامعات، الفصل السابع.

٥/ عامر فخر الدين طرق التدريس الخاصة باللغة العربية في التربية الإسلامية، (جامعة الفانج، دار الكتب الوطنية. ١٩٩٦، ص. ١٩.
أبو الفتح

٦/ غالب عبدالعزيز الزامل: اللغة العربية والتعليم العالي.

http://www.alukah.net/culture/٨٦٢٨/٠/#ixzz٥٣tXuMLRV; ١٢,٣٠ .٢٠١٨/١ /١٤.

٧/ قانون ٠١,٠٠ يتعلق بتنظيم التعليم العالي، الجريدة الرسمية، عدد ٤٧٩٨، ٢٥ ماي ٢٠٠٠، ٢١ صفر ١٤٢١، ص.١١٩٤.

٨/ الميثاق الوطنية للتربية والتكوين، اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين، المملكة المغربية، ١٩٩٩.